

# المحاضرة السادسة

الأهداف :

اطلاع الطالب على أهم الولاة الذين تولوا إدارة شؤون المغرب في العهد الأموي وجعل الطالب يستنتج أهم انجازاتهم وبعض تجاوزاتهم .

عصر الولاة في بلاد المغرب :

أ - الولاة الأمويون

محمد بن يزيد : 97 هـ

عينه الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد أن استشار بطانته فاختره لفضله وحزمه ، أقام العدل بين سكان ، أرسل البعوث والسرايا إلى بلاد المغرب فكثرت نجاحاتهم وغنائمهم ، وقد عُزل بعد وفاة سليمان ، وقد ذكر ابن عذاري ذلك نقلاً عن الواقدي بقوله : >> ثم أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك قال لرجاء بن حيوة : أريد رجلاً له فضل في نفسه أوليه أفريقية، فقال له نعم ، فمكث أياماً ثم قال : قد وجدت رجلاً له فضل قال: من هو؟ قال : محمد بن يزيد مولى قريش فقال : أدخله علي فأدخله عليه فقال سليمان : يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له وقم فيما وليتك بالحق والعدل وقد وليتك أفريقية والمغرب كله ، قال فودعه وانصرف وهو يقول : ما لي عذر عند الله ما لم أعدل ، وفي سنة 97 من الهجرة استقر محمد بن يزيد بأفريقية بأحسن سيرة وأعدلها ... وكان محمد بن يزيد يبعث السرية إلى ثغور أفريقية فما أصابه قسمه عليهم وكانت ولايته سنتين وأشهرًا << .

إسماعيل بن عبید الله بن أبي المهاجر: 100 - 101 هـ

اختاره الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لسمعته الطيبة ، ساهم في نشر الإسلام وتعليمه للناس فاقبل البربر على الإسلام جماعات جماعات ، وعم السلام والهدوء في المنطقة ، وفي عهده أرسل عمر بن عبد العزيز من التابعين من أهل

العلم من يعلم المغاربة دينهم ويفقههم ، فانتشر الإسلام ومعه اللغة العربية ، وقد عزل هذا الوالي بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز .

يزيد بن أبي مسلم : 102 هـ

في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك تم تغيير الولاية ومن بينهم والي المغرب فتم تعيين يزيد بن أبي مسلم الذي قديم إلى المغرب واتبع سياسة الشدو والحزم والقسوة ، ففرض الجزية لزيادة مداخيل الدولة كما سبى النساء وأساء إلى الناس مما جعل حرسه يفكرون في قتله ، وقد فعلوا ذلك وهو قائم يصلي ، فعُين بدلا عنه محمد بن يزيد مؤقتا حتى تم تعيين بشر بن صفوان ، وقد نقل لنا الرقيق القيرواني بعض أخبار هذا الولي بقوله : << فقدمها سنة ثنتين ومائة ، فمكث أشهراً وحرسه البربر خاصة ، ليس فيهم أحد من البرانس ، فقام يزيد بن أبي مسلم خطيباً على المنبر ، فقال : أيها الناس ، إنّي قد رأيت أن أسم حرسى في أيديهم ، كما تفعل ملوك الروم بحرسها ، فأسم في يمين الرجل اسمه ، وفي يساره حرسى ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم ، فإذا دفعوا إلى أحد أسرع فيما أمرته به ، فلمّا سمع ذلك حرسه اتفقوا عليه ، وغضبوا ، وقالوا : جعلنا بمنزلة النصارى ودبّ بعضهم إلى بعض وتعاقدوا على قتله ، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب ، قتلوه في مصلاه >> .

بشر بن صفوان الكلبي : 103 هـ

جاء إلى بلاد المغرب منتهجاً سياسة العدل لتهدئة الخواطر فنجح في ذلك لحسن سيرته ولينه ، لكنه تعسف في حق بعض أهل موسى بن النصير وصادر أموالهم ، لأنهم في نظره هم من ثاروا ضد الوالي يزيد بن أبي مسلم ، ووصل الأمر بالوالي بشر بن صفوان إلى قتل عبد الله بن موسى وعذب آله واخذ أموالهم ، ثم ذهب بها إلى دمشق فوجد الخليفة يزيد قد مات وخلفه هشام بن عبد الملك ، وفي سنة 109 هـ خرج بشر بن صفوان غازياً صقلية فعاد منتصراً غانماً ثم مات بعد ذلك مريضاً سنة 109 هـ .

عبدة بن عبد الرحمان السلمي : وصل إلى القيروان 110 هـ

حاول هذا الوالي الانتقام من عمال الوالي السابق فسجنهم وعذب بعضهم ، فلما بلغ خبر ذلك إلى الخليفة هشام عزله في شوال 114 هـ ، وقد كان عبيدة بن عبد الرحمان شديدا مع البربر وبالغ في التعسف معهم والجور بهم رغم أن له فضائل منها غزو صقلية ، وعمد الجيش غرق في البحر فلم ينج سوى قائدهم وهو المستنير بن الحبحاب فعاقبه وسجنه .

وقد أتحفنا النويري ببعض أخبار الوالي عبيدة بن عبد الرحمان السّلي بقوله : >> فلما اتصلت وفاته بهشام استعمل على إفريقية: عبيدة بن عبد الرحمن السّلي وهو ابن أخي أبي الأعور السّلي، صاحب خيل معاوية فأخذ عمال بشر بن صفوان فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم وعذب بعضهم. وكان فيهم أبو الخطار بن ضرار الكلبي، وكان قائدا جليلا، فقال :

أفأتم بني مروان قيسا دماءنا      وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل<sup>1</sup>  
كأنكم لم تشهدوا لي وقية      ولم تعلموا من كان قبل له الفضل<sup>2</sup>  
وقيناكم حرّ القنا بصدورنا      وليس لكم خيل سوانا ولا رجل<sup>2</sup>  
فلما بلغت نيل ما قد أردتم      وطاب لكم فينا المشارب والأكل<sup>2</sup>  
تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم      صديقا وانتم ما علمتم لنا وصل<sup>2</sup>

وبعث بها إلى هشام . فلما قرئت عليه غضب وأمر بعزل عبيدة فقفل (أي عاد ) عنها، واستخلف على إفريقية عقبة بن قدامة التّجيبى، وترك بها عبد الله بن المغيرة بن بُردة القرشى قاضيا، وذلك في شوال سنة أربع عشرة ومائة ... ثم استعمل هشام بن عبيدة الله بن الحبحاب مولى بني سلول << .

عبيدة الله بن الحبحاب : وصل إلى المغرب سنة 116 هـ

كان عبيدة الله بن الحبحاب واليا على مصر ، ثم صار واليا على المغرب ، وقد كان متعصبا للعرب على حساب البربر فعاملهم بسوء ، كما أساء عامله على طنجة (عمر بن عبد الله المرادي ) معاملة المغاربة فأساء السيرة وعاملهم على أنهم

<sup>1</sup> ومعناها جعلتم دماننا فينا ومغنا لبني قيس .

<sup>2</sup> أي الذي يمشي على رجليه .

فيئ للمسلمين واهلك أغنامهم وسبى نساءهم ، وهو ما أثار حفيظة البربر وأغضبهم ووصل بهم الأمر إلى الثورة .

ذكر النويري بعض تفاصيل ذلك بقوله : >> استعمل هشام عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول، وكان رئيسا كاتباً بليغاً، حافظاً لأيام العرب وأشعارها ووقائعها. وهو الذي بنى الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس . وكانت ولايته في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائة ، فاستعمل على طنجة وما والاها عمر بن عبد الله المرادي ، فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم وأراد أن يخمس البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، وإنما كانت الولاة يخمسون من لم يجب منهم إلى الإسلام . فانتفضت البربر بطنجة على عبيد الله وتداعت عليه بأسرها، وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائة . وهى أول فتنة كانت بإفريقية في الإسلام << .

لقد كثرت في هذا الوقت الخوارج وانتشروا في بلاد المغرب وشاع فكرهم لبعده بلاد المغرب عن مركز الخلافة واستغلالهم انشغال الولاة بالعداء الموجود بين القيسية (العرب المستعربة) واليمينية (العرب العاربة) ، وبذلك وجد المغاربة متنفساً لهم في المذهب الخارجي الذي لا يشترط القرشية في الحكم وثاروا على ولاة بني أمية في بلاد المغرب .

إن تدمير المغاربة من سياسة ولاة بني أمية جعل جزء ليس باليسير منهم يعتنق المذهب الخارجي ، فبربر الشمال من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط اعتنقوا المذهب الخارجي الاباضي ، بينما اعتنق بربر الجنوب من المغرب الأقصى المذهب الخارجي الصفري ، أما بقية البربر المعتدلين فدعوا إلى الثورة ضد الظلم والتعسف ، وقد اختار البربر نقل شكواهم إلى الخليفة الأموي هشام ، غير أنهم لم يتمكنوا من مقابلته فقد حال بينهم وبين الخليفة رئيس وزراء الخليفة (الابرش) . لقد حاول ميسرة المطغري وأصحابه نقل الشكوى إلى الخليفة ولما وقف في وجه ذلك الابرش تركوا له الشكوى لتبليغها إلى الخليفة هشام ، ومما جاء في هذه العريضة أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نقلهم دوننا ، كما أنهم يبقرون ماشيتنا ويقدموننا في القتال ويأخذون جميلاتنا ...

لما لم يجد المغاربة من يصغي إلى شكواهم اعتنق ميسرة المطغري الصفيرية وانظم إليه بربر مكناسة وبرغواطة وأهل طنجة ، وبايعه البربر على الإمامة وثار المغاربة سنة 122 هـ على الوالي عبيد الله بن الحبحاب ، وخرج ميسرة وجموعه فاستولوا على طنجة ثم ساروا إلى بلاد السوس واشتبكوا مع قوات إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب فهزموه وقتلوه ، وبذلك اضطرب الأمن في بلاد المغرب وذاعت أخبار ميسرة وكثرت جموعه.

وصف ذلك ابن عذاري بقوله >> وفي سنة 122 كانت ثورة البربر بالمغرب فخرج ميسرة المدغري وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله وثار البرابر كلها مع أميرهم ميسرة الحقيير ، ثم خلف ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حُدَيْج وزحف إلى إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب إلى السوس فقتله ثم كانت وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل أفريقية يطول ذكرها وكان المغرب حينئذ قوم ظهرت فمهم دعوة الخوارج ولهم عدد كثير وشوكة كبيرة وهم برغواطة ، وكان السبب في ثورة البربر وقيام ميسرة إنها أنكرت على عامل ابن الحبحاب سوء سيرته كما ذكرنا وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها إلى عامل أفريقية فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب منّاهم بالكثير وتكلف لهم أو كلّفوه أكثر مما كان ، فأضطر إلى التعسف وسوء السيرة فحينئذ عدت البرابر على عاملهم فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب >> .

اعدّ الوالي عبيد الله بن الحبحاب جيشه بالقيروان وزحف رفقة خالد بن حبيب الذي اشتبك مع ميسرة قرب شلف وهزمه فتراجع ميسرة المطغري وثار عليه البربر فقتلوه ، وخلفه ابن حميد الزناتي الذي زحف وهزم جيش العرب وقتل قائدهم خالد بن حبيب ومعه كثير من أشرف العرب فسميت هذه المعركة ب غزوة الأشراف سنة 122 هـ . بعد هذه المعركة ثار أهل الأندلس على عاملهم عقبة بن الحجاج السلولي ودخلت المغرب والأندلس في حالة من الفلتان الأمني على السواء .

سمع الخليفة هشام بهذه الحالة المضطربة فاستدعى الوالي عبيد الله بن الحبحاب ، وعزم الخليفة على الانتقام من البربر وعبر عن ذلك صراحة بقوله : >> والله ، لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي .

ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو يمني >> ، وتم تعيين والي جديد على المغرب اسمه كلثوم بن عياض القشيري وهو من غلاة القيسية وسيّر معه جيشا قوامه 12.000 من الشاميين وانضمت إليه قوات من مصر وأخرى من طرابلس .

كلثوم بن عياض القشيري : 123 هـ

ولاه الخليفة هشام وكان متعصبا للقيسية وأرسل معه جيشا جرارا للانتقام من البربر الثائرين ، وقد اشتبك معهم وكان قائدهم يومها خالد بن حميد الزناتي ، والتقى الجيشان عند منطقة بقدورة سنة 124 هـ وكان القتال عنيفا أسفر عن مقتل الوالي كلثوم وعدد من وجهاء العرب وفرت بقايا الجيش الأموي ولحقهم جيوش البربر قتلا وأسرا .

وصف النويري مجريات ذلك بشيء من التفصيل حيث يقول : >> ثم

استعمل هشام بن عبد الملك على إفريقية كلثوم بن عياض القشيري، فقدم في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقد عقد له على اثني عشر ألف فارس من أهل الشام . وكتب إلى والي كل بلد أن يخرج معه، فسار معه عمال مصر وبرقة وطرابلس . فلما قدم إفريقية نكّب<sup>3</sup> عن القيروان وسار إلى سبتة . واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ، وهو إذ ذاك قاضي إفريقية ... فسار كلثوم ومن معه حتى وافى البربر، وهم على وادي طنجة ، وهم في ثلاثين ألفا . وتوجه إليهم خالد بن حميد الزناتي فصاروا في جمع كبير . فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا، فقتل كلثوم بن عياض، وحبیب ابن أبي عبيدة ، وسليمان بن أبي المهاجر، ووجوه العرب . وانهزمت العرب، وكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس، وعبروا في المراكب، وهزيمة أهل مصر وأهل إفريقية إلى إفريقية >> .

حنظلة بن صفوان الكلبي : 124 هـ

بعد وصول أخبار مقتل الوالي كلثوم إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، غضب لذلك وعيّن حنظلة بن صفوان الذي كان واليا على مصر، وأمدّه بجيش ضخم وقدم إلى البربر واشتبك معهم وقتل منهم أعدادا عظيمة ، وبعدها

<sup>3</sup> ومعناها تنجى أو ابتعد .

عاود مقاتلتهم بعدها تجمعوا عند مكان يسمى الأصنام (قرب طُبنة) حيث دارت بين الفريقين معركة طاحنة أسفرت عن انتصار العرب الأمويين وانهزام البربر الذين بلغ قتلهم 180.000 (كان عددهم 300 ألف) ، غير أن هذه الأخبار لم تصل مسامع الخليفة الأموي الذي وافته المنية وخلفه الوليد بن يزيد الذي أمر حنظلة على المغرب.

لقد استرسل ابن عذاري المراكشي في وصف القتال الدائريين الثائرين من البربر وبين الوالي حنظلة وهذا بعضه : >> فأخرج حنظلة كل ما في الخزائن من السلاح وأحضر الأموال، ونادى في الناس فأول من دخل عليه، رجل من يحصب فقال له : نصر بن يَنَعَم قال : فتبسم حنظلة كالمكذب له وقال له : بالله أصدُق! فقال : والله ما لي أسم غير ما قلت لك فتفاءل به وقال : نصر وفتح ، فأعطى الناس وخرج لمقابلة الصفرية وهم الخوارج ، فكان بينه وبينهم حرب يطول ذكرها، فالتحم فيها القتال، وتداعى الأبطال ولزم الرجالة الأرض، فلا تسمع إلا وقع الحديد على الحديد، وتقابضُ الأيدي بالأيدي . وكانت كَسْرَةً على ميسرة العرب، ثم انكسرت ميسرة البربر وقلبهم، ثم كرت العرب على ميمنة البربر، فكانت الهزيمة . وسيق إلى حنظلة رأس عبد الواحد، وأخذ عكاشة أسيرا، فأُتي به إلى حنظلة، فقتله وخر الله ساجدا. وقيل إنه ما عُلم في الأرض مقتلُهُ كانت أعظم منها . أراد حنظلة أن يحصى من قُتل، وأمر بعددهم . فما قدر على ذلك . فأمر بقَصَبِ فطرح قصبه على كل قتيل. ثم جمعت القصب، وعُدَّت، فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفا. وكانوا صفرية يستحلون النساء وسفك الدماء . وكتب بذلك حنظلة إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك . فسُرَّ بذلك سرورا عظيما . وكان الليث بن سعد يقول : ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها، بعد غزوة بدر، أحب إلي من غزوة القرن والأصنام >>

عبد الرحمان بن حبيب الفهري : 127 هـ

لحق عبد الرحمان بن حبيب بمنصبه كوالي في العهد الأموي ، وقد ثار عليه البربر منهم عروة بن الوليد في تونس ، كما استولى ثابت الصنهاجي على باجة ، وثارَت مناطق أخرى مثل طرابلس ، غير أن الوالي عبد الرحمان تمكن من إخماد هذه الثورات ، وقد كان شديد البطش بخصومه ، وبعد أفول نجم الأمويين بايع هذا الوالي الخليفة العباسي أبا العباس السفاح ومن بعده أبو جعفر المنصور ، إلا أنه عاود الخروج عن طاعة أبي جعفر المنصور واستقل بتونس ، فدبر له أخوه إلياس مكيدة انتهت بمقتله سنة 137 هـ .

لقد ذكر ابن عذاري المراكشي بعض تفاصيل مقتل هذا الوالي بقوله : >>  
كان عبد الرحمن يوجه أخاه غازيا فإذا ظفر، كتب عبد الرحمن بالفتح، ويزعم أن ابنه كان يتولى الفتوح وكان قد ولاه عهده، فعمد إلياس إلى قتل أخيه عبد الرحمن، وشاور في ذلك أخاه عبد الوارث ، فأجابه ودعوا إلى ذلك قوما من أهل القيروان من العرب على أن يقتلوا عبد الرحمن ويؤمروا إلياس بن حبيب ، وتكون الطاعة لأبي جعفر . وكان عبد الرحمن ولي أخاه إلياس تونس، وودعه للخروج إليها، وعبد الرحمن إذ ذاك مريض . فدخل عليه، وهو في غلالة ورداء، وابن له صغير في حجره ، فقعد طويلا، وعبد الوارث يغمزه . فلما قام يودعه أكب عليه ووضع السكين بين كتفيه حتى وصل إلى صدره ، ثم رد يده على السيف فضربه، وخرج هاربا دهبشاً . فقال له أصحابه : ما فعلت؟ قال : قتلته! قالوا : أرجع . فحز رأسه! فرجع وحزّه . وثارَت الصيحة وأخذ إلياس أبواب دارالإمارة ، وسمع ابنه حبيب الصيحة، فأخبر بقتل والده ، فاختم، ثم تحامل على وجهه إلى باب تونس أحد أبواب القيروان فخرج منه ومضى إلى عمه عمران بن حبيب، وهو والي تونس لوالده ، فكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب إفريقية عشر سنين وسبعة أشهر . وكان أول ثائر متغلب على بلاد إفريقية << .